مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد01 2022/01/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

التاريخ الديني للجزائر – دراسة انثربولوجية –

The Religious History Of Algeria – Anthropological Study -

مرحوم عبد الرحيم [1*]

[1]جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

abderrahimmarhoum7@gmail.com

أ. د بن تامي رضا[2]

[2]جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

maussboas@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/11/06 تاريخ القبول: 2020/12/04

ملخص:

ارتبط الجزائريون القدماء بعبادة مجموعة من الأوثان والظواهر الطبيعية، ، مع تداول نفوذ القوى الكبرى آنذاك على الجزائر استمرت المعتقدات الوثنية في الوجود، كما عرفت هذه الفترات انتشار الديانات السماوية.

انتشر الإسلام بشكل واسع عند البربر، هذا الانتشار صاحبه تنوع وتقسم في المذاهب الفقهية والتي كانت كل منها تصاحب الدول الجديدة الناشئة والمتعاقبة.

لتخضع الجزائر بعد ذلك للاستعمار الفرنسي الذي عمل على طمس هوية الجزائر الإسلامية واستبدالها بالمسيحية.

الكلمات الدالة: الديانة، السياسة، المجتمع، الحضارات، الجزائر

Abstract:

The ancient Algerians were associated with the worship of a group of idols and natural phenomena, with the influence of the major powers at that time on Algeria the pagan beliefs continued. In existence, as the seperiods defined the spread of monotheistic religions, lIslam spread widely among the Berbers, this spread was accompanied by a diversity and division of jurisprudential schools, each of which accompanied the new emerging and successive countries.so that Algeria was

*المؤلف المرسل: مرحوم عبد الرحيم، الايميل: abderrahimmarhoum7@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

subsequently subjected to French colonialism, which worked to obliterate the Islamic identity of Algeria and replace it with Christianity.

Keywords: Religion, Politics, the society, civilization, Algeria.

مقدمة:

عرفت الجزائر تعاقب مجموعات مختلفة من الحضارات، وتجانس عدة أعراق وذلك بسبب موقعها الجغرافي وثرواتها الطبيعية، وتزايد الإمبراطوريات المختلفة في المناطق المجاورة.

هذا الامتزاج الحضاري أدى لتنوع المعتقدات الدينية واختلاف تأثيراتها على التركيبة الاجتماعية والكيانات السياسية المتعاقبة.

فبين المعتقدات الوثنية والديانات السماوية، تعد الجزائر مركزا مهما لدراسة تعايش الأديان واختلافاتها، وكيفية تقبل المجتمع للديانات الجديدة خصوصا منها تلك التابعة للكيانات السياسية.

فما هي أهم المعتقدات الدينية المتعاقبة على الجزائر؟

ما مدى تأثير الدين في سياسات الأنظمة الحاكمة، وكيف تعاملت هذه الأنظمة مع معتقدات المجتمع؟

وفقا لما سبق بنينا دراستنا على الفرضيات التالية:

يؤدي ارتباط الحضارات المتنوعة والأعراق المختلفة بمنطقة معينة، لتنوع المعتقدات الدينية لدى سكان تلك المنطقة.

يزيد اهتمام الكيانات السياسية بديانات السكان، كلما زادت الحاجة لتثبيت وجودها.

أولا: **المعتقدات الدينية بالجزائر قبل الإسلام**

1 **ديانة البربر.**

بينت العديد من الاثار المدروسة لمنطقة الجزائر وجود حياة بشرية بها قبل بداية تدوين التاريخ (شارل أندري جوليان، 2011، ص 46)، من خلال المنحوتات الاثرية المكتشفة اتضح ان العبادة السائدة في تلك الفترة تتمحور حول عبادة الشمس وعبادة القمر، إضافة إلى عبادة بعض الحيوانات كالقرد والثور والكبش والتيس، مثال ذلك ما وجد بجبال بني راشد وهو تمثال يدعى أتون والمنحوت على شكل تيس على رأسه دائرة الشمس.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الحياة الدينية للبربر القدماء اتسمت بتعظيم الأموات فشيدوا أضرحة ضخمة كما عظموا الأشجار والجبال والعيون وتبركوا بها، تعظيم هذه الظواهر بالنسبة للانسان البربري القديم عبارة عن تعظيم للروح الخفية التي تسكن هذه الظواهر فكانوا بذلك يؤمنون بخفايا الامور ويبحثون عن مصادر قوة الاشياء، وتظهر عبادة قدماء الجزائر لهذه الظواهر في بعض المظاهر الموروثة الآن كقول الأطفال أثناء خلع أسنانهم "يا شمس عطيتك سنة الحمار وأعطيني سنة الغزال"(مبارك محمد الميلي، 1986، ص 75)

جسد البربر أصل الظواهر والكائنات المختلفة كالشمس والقمر والرعد والبرق وغيرها في اله سموه عمون، و المظاهر المختلفة باعتقادهم جزء من روح ذلك الإله وقد قسمت إلى ثلاث أصول:

الكواكب: كالشمس والقمر.

الحيوانات: كان الثور في المنزلة الأولى التي يعبدها البربر ثم الكبش كما يعبدون الأفعى والبوم والحمام والطاووس والسلحفاة والضفدع والقرد والهر.

الروحانيات: كان يعتقد البربر بوجود أرواح في العناصر الطبيعية المختلفة كالأشجار والعيون والأحجار فيعبدونها.

2 الفنيقيون

أمة الفينيقيين امة سامية كانوا مستقرين في أجزاء من الشام المطلة على البحر المتوسط، طبيعة حياة الفنيقيين واستقرارهم بمحاذاة المنافذ البحرية أدى لامتهانهم التجارة، فانشئوا محطات على البحر الأبيض المتوسط، من أهم محطاتهم قرطاجنة عام 814 ق م، وقد شمل نفوذها شمال تونس وبعض السواحل الجزائرية التي أسسوا بها عدة مدن ساحلية أهمها بجاية، تنس، شرشال، هيبون(عنابة)، جيجل، وهران ...، وقد ربطت باقي مناطق الجزائر مع قرطاجنة علاقات ودية. (صالح فركوس، 2002، ص 15).

الشمس هو اله السماء والأرض وفقا للفينيقيين، وهو غضوب شديد الانتقام لذا يقدمون له القرابين لينجوا من عذابه، غالبا ما تكون القرابين المقدمة بشرية من أبناء الملوك والأعيان، كان الفينيقيون يستعملون آلات الطرب أثناء تقديم القرابين، ثم يلقون القربان في نار معدة لهذا الغرض.

كان التمثال الممثل للإله على شكل ثور، وربما على شكل رجل أو رجل له رأس ثور.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أما القمر فهو اله الحب والجمال، كانوا يمثلونه على شكل امرأة جميلة بيدها حمامة وعلى رأسها صورة ملاك. (مبارك محمد الميلي، 1986، ص 137).

أسس الفينيقيون العديد من المعابد لآلهتهم نذكر منها معابد اشمون و بعلهمون و تانيت، كانوا يقيمون من اجلهم أعيادا يشرف عليها كهنة.

يعتقد الفينيقيون ان النفس البشرية خالدة هذا الاعتقاد دفعهم لدفن أمواتهم واقامة احتفالات لحفظهم من شر العالم الآخر، لذا فالميت عادة يدفن مع بعض جواهره والآنية الفخارية وأدوات الزينة المختلفة، وقبل القرن الرابع لميلاد المسيح أترث عادة حرق الأموات وحفظ رمادهم في وعاء داخل القبور على الفينيقيين.(عمار عمورة، 2002، ص 17).

3 الرومان

يقسم الرومان آلهتهم إلى عظمى عامة، وصغرى خاصة بالأسر والمنازل، عبد الرومان القوى الطبيعية والنار المقدسة والموتى، إذ كانت عبادة الموتى عبارة عن آلهة للأسر فهم آلهة خير حال قدموا لهم القرابين، إلا أنهم ينقلبون آلهة شر إن قصروا في عبادتهم، كما يمثلون أرواحهم بالديدان لدى يطعمونها (مبارك محمد الميلي، 1986، ص ص، 249 – 250)

احتفظ النوميديون بداية الاحتلال الروماني بعباداتهم كعبادة الشمس والقمر والهة القرطاجيين، وكانوا يؤمنون بالسحرة والمنجمين، إلا أن روما حاولت نشر ديانتها الرسمية آنذاك الخاصة بعبادة الإمبراطور فأقامت لأجلها كهانا قصد نشرها إضافة إلى المهرجانات والمآدب للاحتفال بها، غير أن هذه الديانة لم تتغلغل لنفوس النوميديين.(عمار عمورة، 2002، ص 34)

مع حلول القرن الثاني الميلادي، بدا تجار المشرق يقومون بنشر الديانة المسيحية في شمال إفريقيا بدء بمصر ثم ليبيا فاعتنقها الكثير من البربر خصوصا سكان المدن إلا أن معظم سكان الأرياف والجبال بقوا على ديانتهم الوثنية.(صالح فركوس، 2002، ص ص، 31 – 32)

وجد البربر في الديانة المسيحية مخرجا من الاضطهاد الذي عانوا منه، وقد عذبتهم البرجوازية الرومانية جراء ذلك على أساس أنها دين الضعفاء فالتزم أتباعها بالسرية إلى غاية اعتناقها من الإمبراطور قسطنطين

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأكبر 337/306 الذي شيد الكنائس فأصبحت الديانة المسيحية وسيلة للوصول للمراكز العليا في الإمبراطورية الرومانية.

لم يوافق المسيحيون النوميديون على ما ألت إليه المسيحية في روما إذ رأوا أنها تحيد عن الطريق الصحيح وأصبحت تستغل لأغراض سياسية، لتنشا بعد ذلك حركة دونا نسبة لدوناتوس التي رفضت الاعتراف بأسقف قرطاجة، مما أدى لتدخل الإمبراطور الروماني سنة 316 لتوحيد المسيحية في إفريقيا وفقا للمبادئ الكاثوليكية، إلا أن المسيحيين الدوناتيين رفضوا الأمر على الرغم من تدخل القديس اوغستين أسقف مدينة عنابة.

دخل أتباع الدوناتية في مواجهات عنيفة ضد السلطة والكنيسة ابتداء من سنة 347، ليتحالفوا مع الثوار الريفيون في مواجهة السلطة والكاثوليك والأغنياء إلا أن روما استطاعت إخماد هذه الثورة(عمار عمورة، 2002، ص 32).

4 الوندال

بعد أن عزلت الحكومة الرومانية حاكمها على افريقية في مدينة سبتة عام 427م، استنجد بالوندال الذين لبوا النداء وعبروا لإفريقيا عن طريق القائد جزريق، ليقوم الوندال بالتوسع بالجزائر وينهوا الوجود الروماني ويحلوا محله.

اتبع الوندال سياسة دينية متطرفة فصادروا ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية واضطهدوا رجالها اضطهادا بالغا.(صالح فركوس، 2005، ص ص، 34 –36)

كان الوندال وثنيين يعبدون " دونار" الذي يعني الرعد، و " تير" وهو الحسام، ويقدسون الشمس والقمر ومختلف الأجرام السماوية، كما يعبدون آلهة أخرى، كما أن بعض الوندال دخلوا المسيحية على مذهب اوريوس الاسكندري والذي كان مذهب الحكومة الوندالية، فاضطهد الوندال الدوناتيين، ليلجا المسيحيون الأرثوذكس على قلتهم بالجزائر على التضرع لإمبراطور بيزنطة من اجل نجدتهم من الوندال وقد كان القس فيكتور يجلس على كرسي أسقفية الجزائر بتعيين من الملك الوندالي هونريك (عبد الرجمن بن محمد الجيلالي، 1965، ص 124).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

سارع اليهود لمساعدة الوندال مقابل إلغاء الإجراءات التي حاقت بهم من الإمبراطورية الرومانية، ذلك أنهم اعتبروا قدوم الوندال للجزائر متنفسا من التضييق الروماني، لينالوا بعض المناصب كما استحوذوا على التجارة، إلا أنهم عانوا من التضييق في أخر عهد الوندال.(فوزي سعد الله، 1996، ص 38)

5 البيزنطيون

كانت روما مقسمة إلى إمبراطوريتين الغربية والشرقية، وكانت بيزنطة عاصمة الإمبراطورية الشرقية فسمية نسبة لها بالإمبراطورية البيزنطية، أصبح قسطنطين الإمبراطور الوحيد بعد أن وحد الإمبراطوريتين الغربية والشرقية سنة 324 جاعلا من بيزنطة عاصمة لها ابتداء من 330 م.

بعد أن زادت قوة الإمبراطورية البيزنطية حاولت إعادة حدود روما القديمة ليقوم الإمبراطور بليزاريوس باسترجاع الجزائر ابتداء من سنة 533 م من الوندال.(صالح فركوس، 2002، ص 38)

عرفت الدولة البيزنطية بالنقاشات الدينية اللامنتهية، وهو ما كان يعرف بالجدل البيزنطي، فبين الصراعات والتعصبات الدينية إما للمذهب الكاثوليكي الذي أعلن الإمبراطور البيزنطي جوستينيان عن تبنيه له، وبين المسيحية الأرثوذكسية التي انبثق منها المذهب الدوناتي عرفت الكنيسة الشرقية والغربية اختلافا كبيرا، أدى لاضطهاد العديد من سكان شمال إفريقيا الذين لم يكونوا يدينون بنفس ديانة الإمبراطور، وشمل الأمر حتى الوثنيين واليهود خاصة لكونهم أعانوا الوندال ضد الديانة المسيحية.

ثانيا: **المعتقدات الدينية بالجزائر بعد الفتح الإسلامي**

1 بداية الفتوحات وإسلام البربر

بدأت محاولات الفتح الإسلامي للجزائر منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان لتتواصل الفتوحات بعد ذلك في العهد الأموي، ليحكم المغرب العربي كاملا في عهد الخليفة الأموي الوليد بن مروان ووالیه على شمال إفريقيا حسان بن النعمان.

بدا عهد الهدوء في الجزائر مع تولي الخليفة عمر بن عبد العزيز فاعتمد في ذلك على الطرق السلمية بالإقناع والحجة وحسن السيرة، وتطبيق مبادئ الإسلام وقام بعزل بعض الولاة وعين آخرين أكثر سلاسة ولينا، كما قام بإرسال عدة فقهاء ليعلموا أهل شمال إفريقيا الإسلام، وبعد عهد عمر بن عبد العزيز تولى

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

العديد من الولاة الذين أساءوا معاملة البربر، فثاروا عليهم وعمت الفوضى حتى بعد سقوط دولة بني أمية وحلول دولة بني العباس محلها.

كان المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا مركزا لاستقرار الكثير من علماء الدين، ورجال السياسة وذلك هربا من بطش الخلفاء المتعاقبين على المشرق العربي سواء الأمويين أو العباسيين بعضهم، وقد نال هؤلاء العلماء في بلاد الجزائر مكانة عالية لتقديس سكان المغرب العربي كل ما هو ديني، مما سمح لهم بنشر مذاهبهم عند البربر، فانتشرت فرق الخوارج الاباضية والاصافرة، وفرق الشيعة كالزيدية والإسماعيلية، كما انتشرت مذاهب المالكية الاشاعرة والصوفية والمعتزلة وغيرهم، لتضاف لبعض الديانات الموجودة مسبقا كالمسيحية واليهودية، فأصبح المغرب العربي والجزائر توليفة من الديانات و المذاهب اتفقت أحيانا وتخاصمت وتحاربت أحيانا أخرى. (فوزي سعد الله، 1996، ص – ص، 32 -44).

2 الدويلات الأولى في المغرب العربي وصراع الفرق

ظهرت الدولة الرستمية في مدينة تيهرت وتبنت المذهب الإباضي، تنتسب الفرقة الاباضية لأحد فقهاء المذهب الخارجي وهو عبد الله بن أباض المري التميمي ويرى فقهاؤها أن مرتكب الكبيرة موحد وليس مؤمنا، وكانوا أميل للسلم فلم يغالوا في الحكم على مخالفيهم كما يفعل الخوارج الازارقة (موسى لقبال، 1981، ص 193).

اعتمد الخوارج الاباضية على الدعوة باسم الدين وحده وهو ما يتماشى مع مزاج البربر، كما أن من أهم أسباب نجاح دعوة الخوارج عند البربر أنهم كانوا يدعون إلى المساواة وان البربر اقبلوا على الإسلام حبا في المساواة.(محمد بن عميرة، 1984، ص – ص، 65 – 67)

أصبح عبد الرحمن بن رستم نائب أبي الخطاب على القيروان وبعد انهزامه على يد الجيش العباسي، انتقل عبد الرحمن للجهة الغربية واستقر بجبال قريبة من مدينة تيارت حاليا.(محمد بن عمرو الطمار، 1984، ص 20)

كرس الأئمة الرستميون حياتهم لنشر العلم في المجتمع الإباضي، وكان العلم شرطا أساسيا لتولي الإمامة، وكان بعضهم يقوم بالتدريس في جامع تيهرت، كما اشتركوا في حركة التأليف، فنبغ العديد من العلماء وكان شيوخ المذهب منهم يمثلون فئة اجتماعية ذات شان كبير في تيهرت، وشاركت المرأة الرستمية في

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الحركة الفكرية فكانت أخت الإمام افلح بن عبد الوهاب عالمة بالحساب والفلك (تواتي بومهلة، 2012، ص 29).

وكما كان يلتحق بها حتى من لم يكن على المذهب الإباضي، إلا أنها سقطت على يد الدولة العبيدية الفاطمية ففر معظم سكانها لمدينة غرداية والتي لا زالت محافظة على المذهب الإباضي للآن.

أصبح جزء من غرب الجزائر تابعا لدولة الادارسة بالمغرب الأقصى، هاجر إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط إلى المغرب، استقر بمدينة ليلى التي أكرمه عاملها إسحاق بن محمد بن الحميد الأوربي، وقد كان يميل لفكرة التشيع والاعتزال فبايع إدريس بن عبد الله سنة 172 هجري لينتشر نفوذ الادارسة في المغرب ثم الجزائر حتى وصلت دولته إلى نهر الشلف. (صالح فركوس، 2002، ص 59) امتاز حكم الادارسة العلويين بالمرونة، وتمتع الناس بحرية الدين والرأي، فمذهبهم علوي معتدل كونهم على المذهب الزيدي فيما يخص الإمامة، كما لم يعتمدوا على الإكراه. (محمد صالح مرمول، 1983، ص 138)

قامت دولة الاغالبة في تونس وجزء من الجزائر، ذلك ان هارون الرشيد ثبت إبراهيم بن الأغلب على حكم تونس، فكان عالما متفقها في الشريعة، متشبعا بقيم التسامح والعدل يقول فيه ابن عذاري:" ولم يل افريقية أحسن سيرة منه، ولا سياسة، ولا ارأف برعية، ولا أوفى بعهد، ولا أرعى لرحمه منه، فأطاعت له قبائل البربر وتمهدت افريقية في أيامه"(عثمان سعدي، 2012، ص 250).

اعتمد الأغالبة على المذهب السني المالكي الأكثر مرونة وخفة، فلم يكن ينظر للحاكم على انه معصوم، وقد تمتع معارضوهم بحرية العقيدة الدينية، ورد قول رجال كتامة لأبي عبد الله الشيعي عندما إلتقاهم في موسم الحج، وسألهم عن الحاكم الأغلبي "ماله علينا طاعة أكثر مما نقول انه سلطان" (محمد صالح مرمول، 1983، ص 136)

لتسقط هذه الدولة في الأخير على يد الدولة العبيدية الفاطمية.

3 الدولة العبيدية الفاطمية والفرقة الإسماعيلية

حارب عبيد الله المهدي المذاهب الاباضية والمالكية المنتشرة في المغرب العربي، ليقوم بعد ذلك بالاستحواذ على مصر واضعا السلطة الدينية والدنيوية في يده مما أثار حفيظة أهالي المغرب العربي، لتبلغ الدولة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الفاطمية أقصى إتساعاتها في عهد المعز لدين الله الفاطمي وذلك من المحيط الأطلسي إلى مصر سنة 358 هجري.

وضعت الإسماعيلية فرقة خاصة للدعوة المذهبية، على رأسها داعي الدعاة المسمى أرباب الأنواب، لكل فرد منها مهمة محددة للدعوة مختارين في ذلك امهر الدعاة على رأسهم أبو عبد الله الشيعي.

يفرض نظام الدعوة أن يكون صاحبه ملما بمختلف الفرق والمذاهب، إضافة لقدرته على التمويه، وذلك ليفسروا الحديث والقران وفقا لمصالحهم، فجلبوا لهم آلاف الأتباع مما مكن الدعوة من النجاح إلا أن هذه الدعوة التي كانت رغبة في البداية، صارت تحمل عنصر الترهيب بعد قيام الدولة الفاطمية.

أثار هذا سخط الناس وغضبهم، وزاد الأمر بعد خلافة المهدي الذي أمر بدعوة الناس لمذهبه بالقوة، مضيقا الخناق على مختلف المذاهب غير انه أعطى للمسيحيين حرية العبادة.

اتخذ الفاطميون تيهرت مركزا للدعوة الإسماعيلية للقضاء على المذهب الإباضي، كما اهتموا بحلقات العلم وبناء المدارس لنشر مذهبهم، وقد كانوا يرون أن الأئمة أي الحكام هم ورثة النبي لذا اعتمدوا على القوة باعتبار أن حكمهم مستمد من أوامر الله سبحانه وتعالى. (محمد صالح مرمول، 1983، ص 129-138)

لم ينسجم سكان المغرب العربي مع المذهب الشيعي الاسماعيلي.

4 الموحدون و الزيانيون

قامت دولة الموحدين على أساس ديني إذ كان شعارها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تزعمها محمد بن تومرت الذي كان ينتسب إلى قبيلة هوغة، كان محمد مناهضا للبدع والخرافات وقد خرج على سلطان المرابطين واعتبرهم كفار، ادعى انه المهدي المنتظر فالتف الناس حوله وبايعوه، بعد أن توفي اختار الموحدون تلميذه عبد المؤمن بن علي الذي حارب المرابطين ليفتح عديد المدن كمراكش، فاس، مكناس، تلمسان، الجزائر، بجاية ثم وصل لتونس والأندلس. (صالح فركوس، 2005، ص 68 - 69)

كانت الحياة الفكرية إلى غاية عصر الموحدين تنحصر في العلوم الدينية، من تفسير وحديث وفقه، يطغى معها المذهب السني المالكي، إلا أن دعوة الموحدين ركزت على الاعتناء بالأصول (القران والحديث)، وترك

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الفروع، كما دعوا إلى محاربة التجسيم، والاعتماد على الحجج العقلية فادخلوا بذلك للمغرب العربي مذهب الاشاعرة.

أدى موقف الموحدين من علم الفروع إلى عدم استحسان المالكية، وقد ذاعت كتب الغزالي ومختلف الاشاعرة كالبقلاني والجويني في المغرب العربي. (عبد الحميد حاجيات، 2011، ص – ص، 50 – 52).

بالنسبة للديانات الأخرى، فقد ظهر فرض زي خاص باليهود لأول مرة في عصر الموحدين، فصدرت مراسيم سلطانية بوجوب ارتدائه، وذلك بعد عدة تجاوزات منهم اتجاه السلطات الموحدية، وصلت إلا أن نادت بعبد المؤمن بن علي أن خيرهم بين الجلاء من البلاد أو إتباع الإسلام. (فوزي سعد الله، 1996، ص 46.)

ينتسب الزيانيون إلى يغمراسن بن زيان ويطلق عليهم اسم بني عبد الواد وهي فرع من فروع قبائل زناتة أعلن يغمراسن انفصاله عن دولة الموحدين عام 633 هـ. (صالح فركوس، 2005، ص 71)

عاشت الدولة الزيانية فترات من الحرب مع جيرانها الدول المرينية في المغرب والحفصية بتونس، لم تسلم فيها بالهناء، ورغم ذلك فقد كانت مركزا لانتشار العلم وجذب العلماء، إلى غاية سقوطها وحلول الحكم العثماني محلها.

اعتنت دولة بني زيان بالعلم والعلماء وكانت أهم العلوم هي العلوم الدينية التي تقام دروسها بالمساجد والكتاتيب، وكان المسجد الأعظم بتلمسان يعتبر شبه جامعة. (عمار عمورة، 2009، ص 246).

5 الانتماء الديني لسكان الجزائر إبان حكم الأتراك

كان الجزائريون على المذهب المالكي، أما الأتراك والكراغلة فكانوا حنفيين، ليصبح المذهب الحنفي في وقتهم هو المذهب الرسمي للدولة، وبذلك كان يوجد مفتي مالكي بجانب المفتي الأكبر الحنفي الذي يسمى بشيخ الإسلام، وقد كان شيخ الإسلام هو الشخصية الدينية الأولى في البلاد.

كانت الأقلية اليهودية تمثل حوالي 1 بالمائة من مجموع السكان لها معابدها الخاصة، وتمارس شعائرها الدينية بكل حرية ولها مدارس لتعليم العبرية والتوراة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كان عدد المسيحيين قليلا رغم ذلك وجدت كنائس يتعبدون بها وقد شهد الكاتب مورغان على ذلك بقوله:" كل الديانات مسموح بها في مملكة الجزائر، وكل الأجانب سواء كانوا عبيدا أو أحرار لهم كهانهم وكنائسهم"، وكانت تقام فريضة الحج عن طريق إرسال سفن بحرية أو برا بواسطة قوافل، غالبا ما كان يعتبر العائد من الحج نفسه مرابطا فيعتكف وينصرف عن الدنيا.

كان تشييد المساجد يقع على عاتق المجتمع عن طريق التبرعات وقد يبني احد الباشاوات مسجدا من ماله الخاص.

والمساجد نوعان إما مالكية أو حنفية، لم يكن دور المسجد يقتصر على العبادة فهو مكان للتعلم ومنشطا للحركة العلمية ومجلسا للقاء المسلمين والموظفين السامين.

الزوايا

كان هناك عديد الزوايا بالجزائر، كزاوية عبد الرحمن الثعالبي، زاوية سيدي احمد بن عبد الله، زاوية عبد القادر الجيلاني.

كانت الزوايا تشمل مسجد صغير وقبة الشيخ المرابط، وقاعات للدراسة ومبيتا للطلبة الداخليين، إذا توفي شيخ الزاوية دفن في زاويته ويصبح ضريحه مزارا غالبا ما يذبح له، وتعمل به بعض الطقوس المخالفة للدين.(عمار عمورة، 2009، ص – ص ، 190 – 194).

كان لبعض الحكام الأتراك دور في تشجيع بناء المساجد كالباي محمد الكبير، الذي جعل من مدينة معسكر عاصمة بايلكه عاصمة علمية كبيرة، بينما كانت جهود معظم الولاة الأتراك متجهة لتحفيز مفهوم الجهاد عند الناس. (صالح فركوس، 2005، ص 171.)

من أهم الطرق الصوفية السائدة في العصر العثماني، الطريقة الرحمانية نسبة إلى الحاج محمد بن عبد الرحمن بوقبرين في بلاد القبائل، (صالح عباد، 2011، ص 164.)

خضع اليهود أثناء حكم الأتراك لعقد معين فسمي اليهودي بناء عليه بالذمي، بموجب هذا العقد ينال اليهود المأوى والحماية على أن يحترموا سلطة الشريعة الإسلامية (عيسى شنوف، 2008، ص – ص، 30 – 32.)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ثالثا. المعتقدات الدينية بعد الدخول الفرنسي

1 السياسة الدينية الفرنسية

حاول الفرنسيون أن يعطوا صبغة دينية لاستعمارهم للجزائر (مصطف الاشرف، 1983، ص – ص، 273- 274).

سعت فرنسا بعد دخولها للجزائر للقضاء على الهوية العربية الإسلامية وإحلال الهوية الغربية محلها، وذلك لإذابة المجتمع الجزائري في فرنسا، يقول احد السياسيين الفرنسيين عند إجابته حول الحملة التي تشنها فرنسا ضد الدين الإسلامي: "هو خوفها من استحالة تعليماته ودروسه وعظاته إلى إيمان يملأ نفوس الأفراد والجماعات وبالتالي تستيقظ هذه الروح النائمة فتهدد كيان وجودها في الجزائر" (احمد الخطيب، 1985، ص 48.)

اتبعت فرنسا عدة أساليب لتحطيم الدين الإسلامي، وإحلال المسيحية أو الإلحاد محله، وكأنها في خضم حرب صليبية يقول الكاردينال لافيجري"علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرانه وعلينا أن نعني على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير التي نشأ عليها أجدادهم، فان واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل، أو طردهم إلى أقاصي الصحراء بعيدا عن العالم المتحضر" (بسام العسيلي، 1983، ص 45.)

كانت الإدارة الاستعمارية متسلطة على الأجهزة الدينية في المساجد والزوايا، مصادرة لأوقافها ولعبت دورين قذرين أولهما ممارسة الجوسسة لصالح الإدارة الاستعمارية وهنا يقول **ميسيو برك** احد كبار موظفي الولاية العامة الجزائرية في مقال نشر بعد موته :"لقد وصل بنا امتهان الدين الإسلامي لدرجة أننا أصبحنا لا نسمح بتسمية المفتي أو الإمام إلا من بين الذين اجتازوا سائر درجات التجسس، ولا يمكن لموظف ديني أن ينال أي ترقية إلا إذا اظهر للإدارة الفرنسية إخلاصا منقطع النضير" (احمد توفيق المدني، 2010، ص 123.)، أما الثاني فهو تشجيع انتشار الخرافات والأباطيل والبدع بين المجتمع الجزائري، واضعة دينا جديدا ليس من الإسلام في شيء، كما شجعت فكرت تجنيس الشعب الجزائري. (يحي بوعزيز، 2009، ص 14).

وقد اتبعت فرنسا من اجل محاربة الإسلام الأساليب التالية:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بدأت فرنسا بتحويل المساجد إلى كنائس وذلك بمجرد دخولها إلى الجزائر، مع أمر الحاكم العام روفيغوا سنة 1832، بتحويل أحسن مسجد إلى كنيسة قائلا: "يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد اله المسيحيين، عجلوا بذلك وجامع كتشاوة هو أجمل مسجد في المدينة وهو متاخم للقصر، ويقع وسط الدوائر الحكومية والحي الأوربي (احمد الخطيب، 1985، ص – ص، 49 – 50.)

كانت نسبة الأوقاف تصل إلى 66 بالمائة من مجموع العقارات، وقد اعتبرت بالنسبة للجزائريين مورد خيرات فيستفيد منها العلماء وطلبت العلم خصوصا، وعموم الأمة من المحتاجين والمساكين.

ولان أي مستعمر يعمل على سلب عناصر رفاهية الأمم واخذ خيراتها، قامت فرنسا بالاستيلاء على كل الأملاك الخاصة بالأوقاف واستعمالها لصالحها، وذلك بسن قوانين جائرة وذلك لتصبح الأوقاف الإسلامية تابعة لأملاك الدولة الفرنسية واستعمالها لتنصير الجزائريين. (عبد الرشيد زروقة، 1999، ص 26-27)

عملت السلطات الاستعمارية الفرنسية على قطع صلات المجتمع الجزائري مع هويته، وهو ما امتد إلى قطاع القضاء خصوصا انه كان مستمدا من الشريعة الإسلامية.

أصدرت السلطات الاستعمارية الفرنسية قرارا بتاريخ 10 افريل 1834 ينص على استئناف الأحكام التي يصورها القاضي المسلم أمام مجلس الاستئناف، مع إعطاء حق الاستئناف لقضاة مسيحيين أو يهود، وبالتالي دحض الحكم الإسلامي المستنبط من الشريعة الإسلامية بأحكام من القانون الفرنسي لقضاة غير مسلمين. (بسام العسيلي، 1983، ص 30.)

وقد ظهرت نية فرنسا في القضاء على القاضي المسلم زيادة على هذه المراسيم في مقولة الأميرال دي جيدون:" يجب أن يزول القاضي المسلم أمام الفرنسي، إننا نحن الغالبون" (احمد الخطيب، 1985، ص 55.)

اصطحبت معها فرنسا في حملتها على الجزائر العديد من المبشرين والذين كانوا يستقرون في كل منطقة يتم الاستيلاء عليها من قبل القوات الفرنسية، فقد كان المبشرون يستغلون الفرص لإدخال المسيحية للجزائر، فبعد تفقير الجزائريين بفعل سياسة الأرض المحروقة، عملوا على مساواتهم بدينهم، فقد كان لافيجري

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يطوف الأنحاء التي فتكت بها المجاعة والأمراض حاملا الصليب في يمينه والخبز والدواء في شماله، فجمع طائفة كبيرة من الأيتام لتربيتهم في ظل الكنيسة. (رابح تركي، 2001، ص 68.)

حاول المبشرون المسيحيون ومن ورائهم السلطات الفرنسية إحلال التفرقة لدى الجزائريين وذلك بإظهار الهوة بين البربر والعرب، زاعمة أن البربر ليسوا متشبثين بالإسلام ويميلون أكثر لأعرافهم. (بسام العسيلي، 1983، ص 42.)

2 جمعية العلماء المسلمين والزوايا

للهروب من التضييق المفروض لجا العديد من العلماء للهجرة وذلك قصد التعرف على الثقافة الإسلامية والحركة العلمية مما ساعد على احتكاكهم برواد الحركات الإصلاحية في المشرق العربي، وقد بلغ عدد المهاجرين الجزائريين لفرنسا وحدها بعد ح ع 1 حوالي 270000 مهاجر. (عبد الحميد زوزو، 1985، ص 15.)

كان من ابرز العلماء الذين سافروا للمشرق العربي وتأثروا بالحركة الإصلاحية الإمام عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي والطيب العقبي، التقى الثلاثة في الحجاز عام 1913 أول لبنة في إنشاء جمعية العلماء المسلمين. (الزبير بن رحال، 1997، ص 51.)

وقد ساهمت عودت المهاجرين إلى الجزائر بعد قيام الحرب العالمية الأولى، في قيام جمعية العلماء المسلمين، كما حفزت الاحتفالات المئوية لفرنسا سنة 1930 باحتلال الجزائر في زيادة رغبة هؤلاء العلماء في إنشاء هذه الجمعية قصد إصلاح المجتمع وتحفيزه على المطالبة باستقلالها لتتأسس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931.

قامت أعمالها الإصلاحية بناء على الظروف الاجتماعية للمجتمع الجزائري وذلك قصد دعوة الناس للفكر الديني الإصلاحي، لتتمكن من توعية فئة كبيرة من الناس فابتعدوا عن عادات كثيرة كانوا يعتقدون أنها من صلب الدين.

بالنسبة للزوايا كانت تحتوي على مخطوطات نادرة يشد لها الرحال من طرف الأساتذة والطلاب، فكانت مركزا ثقافيا قبل الاستعمار.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إلا أن الكثير منها حادت عن فحوى عملها بعد الاستعمار، فأصبح شيوخها مجرد عملاء لفرنسا يمتلكون أملاكا و أراضي كثيرة جعلت منهم طبقة ارستقراطية. (عبد الكريم بوالصفصاف، 2009، ص – ص، 169 – 172.)

كما كانت بعض الزوايا تشكل مراكز للمقاومة ورفض الاستعمار، ومعاقلا لانطلاق الثورات المسلحة.(صالح فركوس، 2002، ص – ص، 278 – 279.)

رابعا: تحليل النتائج

اعتبرت الجزائر مركزا مهما للنشاط الديني منذ القدم، ذلك أن الموقع المهم الذي تمتلكه جعلها بالنسبة للكثير من الحضارات والكيانات السياسية مقرا مهما للتوسع، خصوصا أنها كانت تتوسط العالم القديم والذي كان يعج بالحضارات المتنافسة، ولان المستعمر يهدف للحفاظ على وجوده فان الدين يعتبر الأداة الأساسية التي يستعملها في ذلك.

كثرت الأطماع التوسعية والاستعمارية على حساب الجزائر، أدى لتنوع المعتقدات الدينية بها والمذاهب الفكرية، واستعمل كل كيان سياسي هذه المعتقدات كوسيلة لاستمالة السكان مما ساهم في تأجيج الصراعات الدينية، وتزايد النزع الانتقامية بسبب الاختلافات الدينية والتي أصبحت تتغذى بالمصالح السياسية، مما ادخل سكان الجزائر في أزمات كثيرة وحالات متعاقبة من النزاعات والفوضى.

رغم تعاقب الكثير من الديانات سواء الشركية منها أو التوحيدية على الجزائر، إلا أن الإسلام يعتبر الديانة الوحيدة التي استطاعت أن توحد البربر، فرغم محاولات فرنسا تمسيح الجزائريين تشبث هؤلاء بالدين الإسلامي واعتبروا إياه جزءا من هويتهم لا يمكن التخلي عنه باي طريقة، وظلت للان الجزائر بلدا مسلما.

اعتبرت الفترات التي سبقت دخول الإسلام في الجزائر مرحلة لانتشار الديانة الوثنية والتي اعتبرت المعتقد الأول للبربر والفنيقيين والرومان والوندال، بينما لم تنتشر الديانات السماوية بشكل واسع رغم ذلك اعتبرت المسيحية أواخر عهد الرومان وفي عهد البيزنطيين دين الدولة.

بعد الفتح الإسلامي اعتبرت منطقة المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا، مركزا مهما لفرار اغلب الفئات المستضعفة في المشرق، وموطنا لنشر المذاهب الدينية، ما أدى لظهور دويلات عديدة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

بالمنطقة اعتمدت كل منها على مذهب معين قصد تبرير وجودها عند السكان والحصول على دعمهم مما تسبب في لكثرة الصراعات الدينية والسياسية.

اعتبرت المرحلة العثمانية من أكثر المراحل من ناحية الاستقرار الديني بينما اعتبرت مرحلة الاستعمار الفرنسي أكثر المراحل خطرا على تواجد الإسلام بالمنطقة.

خاتمة:

عرفت الجزائر وجود مجموعة من الديانات والمعتقدات منذ القديم، وكان لتعاقب الحضارات المختلفة والأعراق المتنوعة الأثر البالغ في ذلك.

شمل هذا التنوع في المعتقد عبادة الأوثان وبعض الظواهر الطبيعية، إضافة للديانات السماوية الداعية لعبادة الله (الإسلام، المسيحية، اليهودية) بمختلف مذاهبها، وقد رفض سكان الجزائر بعض هذه المعتقدات وتبنوا بعضها الآخر لغاية دخول الإسلام الذي نال استحسانهم ورضاهم.

مع انتشار الديانات السماوية في الجزائر خصوصا الإسلام ابتعد السكان شيئا فشيئا عن المعتقدات الشركية وتوجهوا للإيمان بالله وحده واعتبر الإسلام بعد ذلك الديانة الأكثر انتشارا عند الجزائريين.

رغم أن سكان الجزائر اجتمعوا على الدين الإسلامي، إلا أن المذاهب المختلفة فرقتهم بشكل كبير كون هذه المنطقة اعتبرت مطمعا للتوسع الديني والعقائدي عند معظم الفرق الدينية الناشئة في المشرق.

هذا التنوع الديني والعقائدي أدى لظهور الصراعات السياسية والتناحرات المجتمعية، ليعتبر الدين دائما وسيلة عند الكيانات السياسية للسيطرة على السكان، كما عمدت معظم الدول القائمة بالجزائر للاعتماد على مرجعيات دينية لتعطي لنفسها شرعية عند المجتمع الجزائري.

ورغم الضغوطات السياسية الكبيرة لتوجيه ديانة سكان الجزائر خصوصا في فترة الاستعمار الفرنسي التي حاول فيها المستعمر جاهدا تحويل السكان للديانة المسيحية، إلا أن الجزائريين ظلوا متمسكين بالدين الإسلامي الذي اعتبروه جزءا لا يتجزأ من هويتهم.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

من خلال ما سبق يعتبر التاريخ الجزائري حافلا بالمتغيرات الدينية العقائدية، والتي ساهمت بشكل مباشر في توجيه عادات السكان وسلوكياتهم، مما يستدعي الدراسات المعمقة لهذه الظاهرة المجتمعية وذلك للتعرف على المؤثرات العامة لسلوك الأفراد فيه.

المراجع

(1) الاشرف، مصطفى. (1983). الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

(2) بن رحال، الزبير. (1997). عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1940/1889). الجزائر: دار الهدى.

(3) بن عميرة، محمد. (1984). دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

(4) بوالصفصاف، عبد الكريم. (2009). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية. الجزائر: عالم المعرفة.

(5) تركي، رابح. (2001). الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال ، ط 5.

(6) تواتي، بومهالة. (2012). محطات في تاريخ الجزائر. الجزائر: دار المعرفة.

(7) الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد. (1965). تاريخ الجزائر العام، ج 1. بيروت: دار مكتبة الحياة.

(8) حاجيات، عبد الحميد. (2011). أبو حمو موسى الزياني (حياته وأثاره). تلمسان.

(9) الخطيب، احمد. (1985). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

(10) الزبيري، العربي. (1999). تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1. اتحاد الكتاب العرب.

(11) زروقة، عبد الرشيد. (1999). جهاد بن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1940/1913). الجزائر: دار الشهاب.

(12) زوزو، عبد الحميد (1985). الهجرة ودورها في الحركة الوطنية بعد الحربين. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

(13) سعد الله، أبو القاسم (1986). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

(14) سعد الله، فوزي. (1996). بهود الجزائر هؤلاء المجهولون. الجزائر: شركة دار الأمة.

(15) سعدي، عثمان. (2012). الجزائر في التاريخ. الجزائر: شركة دار الأمة.

(16) شارل، اندري جوليان. (2011). تاريخ إفريقيا الشمالية تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة. مؤسسة تاوالت الثقافية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

(17) شنوف، عيسى. (2008). يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود. الجزائر: دار المعرفة.

(18) الطمار، محمد بن عمرو. (1984). تلمسان عبر العصور. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

(19) عباد، صالح. (2011). الجزائر خلال الحكم التركي 1514- 1830. الجزائر: دار هومة.

(20) العسيلي، بسام. (1983). عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية. دار النفائس، ط2.

(21) عمورة، عمار. (2009). الجزائر بوابة التاريخ، ج 1. الجزائر: دار المعرفة.

(22) عمورة، عمار. (2009). الجزائر بوابة التاريخ، ج 2.الجزائر: دار المعرفة.

(23) عمورة، عمار. (2002). موجز في تاريخ الجزائر.الجزائر: دار ريحانة للنشر والتوزيع.

(24) فركوس، صالح. (2002).المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م – 1962م) . عنابة: دار العلوم للنشر والتوزيع.

(25) فركوس، صالح. (2005). تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى.عنابة: دار علوم للنشر والتوزيع.

(26) لقبال، موسى. (1981). المغرب الإسلامي. الجزائر: دار الأمة.

(27) المدني، احمد توفيق. (2010). هذه هي الجزائر.الجزائر: عالم المعرفة، ط1.

(28) مراد، علي. (2007). الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر 1925 إلى 1940، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، ترجمة محمد يحياتن. الجزائر: دار الحكمة .

(29) مرمول، محمد صالح. (1983). السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

(30) الميلي، مبارك. (1986). تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1. بيروت: دار المغرب الإسلامي.

(31) الميلي، مبارك. (2000). رسالة الشرك ومظاهره. دار الغرب الإسلامي، ط 5.

(32) الورتلاني، الفضيل. الجزائر الثائرة. عين مليلة: دار الهدى.

(33) يحي، بوعزيز. (2009). موضوعات قضايا من تاريخ الجزائري والعرب، ج 2. عين مليلة: دار الهدى.